مستقبل لبنان المقرر

بقلم

سيادة الحبر العلامة المفضال

المطران يوسف دريان

النائب البطريركي الماروني في القطر المصري

طبع بنفقة يوسف ابراهيم صادر وسليم الخوري دريان

بيروت كانون الثاني سنة ١٩١٩

مستقبل لبنان المقرر

بقلم

سيادة الحبر العلامة المفضال

المطران يوسف دريان

النائب البطريركي الماروني في القطر المصري



طبع بنفقة يوسف ابراهيم صادر وسليم الخوري دريان



بيروت كانون الثانى سنة ١٩١٩

كلمة لا بد منها

ان ما اتاه سيادة الحبر العلامة المفضال المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في القطر المصري من جلائل الاعمال وبواهر الاثار وما تكبده من المشاق الفادحة في سبيل خدمة بلاده من الوجهتين السياسية والمادية قد اصبح اشهر من ان يذكر ولا يجحده الا من طمس الله على قلبه وبصره واعمت الاهواء والاغرض سريرته وبصيرته وقد كان لمآتيه الجليلة ومساعيه النبيلة اجمل وقع في افئدة من يقدرون الرجال العظام حق قدرهم فرعوا لسيادته ذكراً نبيهاً وجميلاً كبيراً ومما يجمل بالذكر ان الحكومة الفرنسوية الكريمة قد ارادت ان تبرهن عما لسيادته من سمو المكانة فكافأته بوسام جوقة الشرف من رتبة اوفيسيه .

هذا وقد تلقينا في الاونة الاخيرة من سيادته رسالة عنوانها « مستقبل لبنان المقرر » فتصفحناها فاذا هي اثر ناطق بحميته وشاهد على مقاصده الحميدة ونياته الشريفة وما من شيء بادل على جميل مساعيه كنشر هذه الرسالة بين مواطنينا الكرام حتى يستنيروا بصائب نظره وصحة ارائه .

فعسى ان تصادف هذه النشرة في قلوب مواطنينا صدى ارتياح

واستحسان بل رنة شكر وعرفان حتى ينسال سيادته بعض العزاء عما قاساه في جنب خدمة البلاد من الانصاب

ولیکن سیادته على ثقة وطيدة ان بين مواطنيه عدداً كبيراً وكلهم من الطبقة المتنورة يتبعون مبادئه السامية ويحبذون خطته الرشيدة وهم متيقنون ان الذي تقرر لا يعتريه ادنى تغيير ولن يعتوره اقل تبديل وفق الله سيادته الى ما فيه خير الامة والوطن واحياه نبراساً يستضيء بنوره ذوو الالباب

سليم دريانه   يوسف صادر

بيروت في ٢٨ كانون الاول سنه ١٩١٨

مستقبل لبنان المقرر

منذ اوائل سنة ١٩١٥ قد أخذت المسئلة اللبنانية دوراً جديداً قبل اوانها : فشرع اللبنانيون في كل اطراف المعمور يفكرون في ما تأول اليه حالة لبنانهم العزيز من الحكم بعد هذه الحرب الضروس : اذا صح اخراجه مع كل سوريه من حكم الاتراك الظالم بانتصار الحلفاء المأمول على الالمان وانصارهم

الا ان سكان هذا الجبل المبارك واهل جواره المقيمين لم يكن همهم اذ ذاك الا في دفع الارزاء والمظالم التي نالتهم من ظلم الاتراك واسيادهم الهمج وتحمل كل ضروب الحيف التى حلت بهم حتى القتل والنفي والمجاعة الذريعة التي فتكت حتى الان باكثر من ثلثيهم على ما هو مقرر عن ثقة : ولم يكن لهم قِبَل وهم عزّل في درء هذه المصائب بالقوة وقد احكم ظلامهم حصرهم من كل ناحية وتحكموا بهم حتى ادركوا منهم كل مأرب من هذا القبيل على ما هو مشهور

الا ان اولئك الطغاة لم يستطيعوا مع ذلك ان يؤثروا اقل تأثير على عواطفهم وميولهم الباطنية وآمالهم المغروسة والجارية مجرى الدم في عروقهم من جهة حبهم لفرنسا الشريفة وانتظارهم الفرج العاجل من لدنها : الا وهي امهم الرؤوم التي لم يتعودوا من قديم الدهر ان يطلبوا وينالوا الخير من سواها : ولهذا كانت انظارهم وقلوبهم تتلفت ليل نهار نحو البحار حتى اذا رأوا بعض الصور الوهمية التي تكونها الغيوم

عادة في اخر مرمى النظر ظنوها اساطيل الفرنساويين المظفرة مسرعة لانقاذهم . فهللوا وكبروا وطارت نفوسهم اليها من شدة الفرح فلا يعتمون ان يتحققوا ما كانوا به من الاحلام فيتولاهم اليأس الشديد بسنة رد الفعل . وقد شهدنا نحن بنفسنا مثل هذه الروايات المؤثرة اذ كنا هناك بعد دخول تركيا الحرب الى آخر سنة ١٩١٤ حيث سهلت لنا العناية الصمدانية العود الى مقرنا هذا . وقد نجا بعد ذلك اشخاص عديدون من مخالب الموت بطرق شتى وكلهم كانوا يروون لنا مثل هذه الرواية الشعرية المؤثرة على نمط واحد . ولا تزال تبلغنا الاخبار تترى بهذا المعنى

فهذه بمنتهى الايجاز حالة اللبنانيين المقيمين في هذا الجبل التاعس على الضيم والشقاء . وهم حتى الان فريسة الموت الاصفر الذي لا يزال يفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى كاد يفنيهم لاجل حبهم القديم لفرنسا وميلهم المستديم اليها الذي ينظر اليه الاتراك بعين الغضب والغدر والكيد . مما يحملهم على مثل هذا الانتقام الفادح . وقد اشتهر قولهم لهؤلاء اللبنانيين المساكين بمنتهى التهكم والشماتة — اين الفرنساويون الذين جعلتم كل اتكالكم عليهم ؟ فليأتوا لخلاصكم ان كانوا قادرين . . . ولكن هبوا انهم فازوا في هذه الحرب وهو محال فاننا عازمون اذ ذاك الا نسلمهم البلاد الا خراباً يباباً . فما تكون فائدتهم من الصخور والاراضي البور ؟ وما فائدتكم انتم بعد الفناء ؟ . . .

فهؤلاء في نظرنا هم اولى اللبنانيين في تقرير مصيرهم بعد ان تضع الحرب اوزارها واختيار الطريقة المثلى لحكم بلادهم في المستقبل اذا خيروا . وكلامهم وعواطفهم واميالهم اولى بالاعتبار متى انتصر باذن الله

الحلفاء الكرام على الهمج الطغام ووضعوا اغراضهم الشريفة من جهة تحرير الشعوب الضعيفة موضع العمل

هذا ونحن لا ننكر مثل هذا الحق على اللبنانيين الذين في خارج لبنان ممن لم يشعروا باثقال هذه الحرب الشعواء الا الماماً بقدر ما يصل اليهم من اخبارها المزعجة : غير اننا نقول ان اول ما يقضي به عليهم واجب الوطنية انما هو بذل كل ما في وسعهم لاجل تخفيف هذه الويلات عن اخوانهم الثاوين في ظلال الموت من كل الطرق التي لو قصدوا باخلاص نية واجتهدوا الاجتهاد الجدي المطلوب لما فاتهم ادراك بعضها : والا فيكون لهم مجال واسع للعذر تجاه ضمائرهم ولدى اقرانهم الذين يعيشون بينهم واهل وطنهم البائسين المساكين

ولكننا مع شديد الاسف لم نرَ حتى الان شيئاً من ذلك الا القليل الذي لا يذكر في جانب هذه المصائب : وكان الاولى بالذين يدعون حب الوطن والحنان اليه والشفقة عليه والحق بالتحكم في امر مصيره لاجل سعادة اهله في المستقبل الموهوم ان يصرفوا جل همهم وعنايتهم الى هذه الغاية القريبة . كما يصنع جميع الامم الراقية بالنظر الى المنكوبين من ابناء جلدتهم الذين عضهم ناب الدهر واناخ عليهم بكلكله بسبب هذه الحرب الغاشمة . وبعد ان يقدموا الادلة العملية على مثل هذه العواطف الشريفة اسوة باهل الفضل والشهامة الذين بين ظهرانيهم لا بأس من ان ينصرفوا الى الغاية القصوى وهي السعي الحثيث لهاتيك السعادة البعيدة . اي النظر اولاً في تحسين مرافق اهل البلاد التي يحبونها على ما يبلغ بهم الى زيادة التهذيب والرقي. ثم في العوائق الحقيقية الداخلية التي كانت تحول حتى الان دون فلاحها ومتى ادركوا الداء

تداركوه بالدواء الشافي في شأن الطبيب الحكيم الذى يهمه اولاً حفظ حياة مريضه فيبذل جهده في سبيل انعاشه وتقويته على مكافحة المرض حتى يبلغ الى الحياة التامة التى يرى بها سعادته الحقيقية

ولكن ما لنا الان ولهذا الموضوع الواسع الذي تضيق دونه هذه العجالة وهو عند اهل الذكاء والذوق السليم من باب تحصيل الحاصل . فسبيلنا اذاً ان نقصر كلامنا على الموضوع الرائج هذه الايام فانه اوقع في الاذهان واقرب الى الفائدة . وانما قد شط بنا القلم في ذاك المعنى الاليم لشجى في النفس منه ووجد مذيب في القلب طارت منه شرارة الى هذا القرطاس فكادت تحرقه

***

لقد وردت الينا الكتب تترى منذ اوائل هذه الحرب ولم تزل ترد الينا من بعض اللبنانيين الاعزاء في جميع انحاء المعمور بالسؤال عن الخطة المثلى التي نرى من الواجب تحديها بالنظر الى مصير لبنان الوطن المحبوب بعد انتصار الحلفاء المطلوب وانقاذ سورية من نير الاتراك الظالم وتحريرها من سيطرتهم الاستعبادية . فكنا نجاوب الجميع بكل صراحة بما معناه . ان ما يوافق اللبنانيين انما هو

اولاً توسيع حدود هذا الجبل من البر والبحر حتى تصبح كل مرافقه كافية لسكانه من كل وجه . لان ارضه من جهة قد ضاقت على اهله الكثيري العدد حتى تكاد لا تكفيه مداخيلها مع شدة الاقتصاد الا مدة شهرين او ثلاثة على الاكثر . وهذا مما دفع باكثرهم الى المهاجرة حتى صار الذين منهم في خارجه اكثر من المقيمين فيه .

ومع هذا لم يزل ضيقاً على هولاء . ولولا ما يرد اليهم من المدد

المالي كل سنة من ذويهم الذين في المهجر لزادت حالتهم سوءًا وهجروه هم ايضًا نظير اخوانهم · حتى لا يبقى فيه غير النزر القليل من اصحاب البيوتات والاملاك الواسعة (وهم اقل من ان يذكروا) والذين لهم موانع طبيعية تحول بينهم وبين المهاجرة.

وشاهد ذلك قريب المتناول فان سكان هذا الجبل بعد دخول تركيا في الحرب قد انقطع عنهم هذا المورد المالي من الخارج وحصرتهم تركيا الظالمة في جبلهم بالقوة القاهرة فمات اكثرهم جوعًا في الحقول المجدبة وعلى الطرقات ومات العجز منهم في بيوتهم · حتى ان قرى كثيرة قد خوت وخلت من سكانها فصارت مأوى لسباع الوحش التي وجدت قرى ضافيًا من جثث هولاء المساكين الذين لم يبق من يواريهم الثرى بعد الموت

فمن الضروري إذن الاحتياط لهذه الحالة في السراء والضراء اذا اريد انصافهم بحجة رفع الحيف والظلم عن الشعوب الضعيفة · والا فلا معنى للحرية التي ينشدونها ولا للحكم الذاتي بالاستقلال الذي يتطلبه بعضهم

ومن المعلوم ان حول هذا الجبل من كل جهة سهول واسعة من اخصب اراضي الدنيا كسهول بعلبك والبقاع وغيرها مما يحسب بكل صواب من لبنان جغرافيًا · وهي تكاد تكون مهملة بسبب قلة سكانها واليد العاملة فيها بحيث ان الكيلو متر المربع منها يقسم على عشرة او خمسة عشر شخصًا على الاكثر من سكانها بالنسبة الحسابية · مع ان كل جبل لبنان بحدوده الحالية و بما فيه من نجود ووهاد وصخور واراضي مجدبة لا تصلح للاستثمار يوجد من الوجوه يقسم فيه الكيلو متر المربع على اكثر

من مئة شخص بالنسبة الى عدد سكانه · ومن ثم فليس له مثيل في كل المعمور من هذا القبيل ، وهذا منتهى الظلم الذي يجب ان يطلب كشفه عنهم قبل كل شيء اذا كان لهم حق بالحياة فيه

ثانياً المحافظة على حقوقهم وامتيازاتهم التي لهم مدى الدهر وقد تحورت بدستورهم الخاص الذي وضع لهم بعد شدة سنة ١٨٩٠ بمعرفة الدول الكبرى وضمانتها لسلامته وصيانته · وهذه ايضاً يجب تنقيحها وتحويرها على ما يوافق مقتضى الحال في هذه الايام والظروف التي لا بد من حدوثها بعد هذه الحرب · بحيث يكون هذا النظام الجديد باعثاً على رقيهم في معارج الحضارة الحقة بنسبة سائر الامم المتمدنة على قدر ما تسمح به احوالهم واهليتهم ومنتجاً للوفاق والالفة والولاء الدائم بينهم وبين جيرانهم من كل جانب

وهذا لا يتم لهم على ما نعتقد الا بعناية احدى الدول الكبرى : ونرى بعين العقل المجردة عن الهوى ان هذه الدولة المطلوبة لهذه الغاية انما هي الدولة بل الامة الافرنساوية الشريفة باسرها كيفما تقلبت عليها الاحوال والظروف ، فهي وحدها التي لها عطف خصوصي عليهم من قديم الدهر وبينها وبينهم علائق تاريخية راهنة ولدت بين الفريقين عوامل مودة تكاد تكون طبيعية · بحيث لا يعتورها أمر من الامور الخارجية ايا كانت ولا تمحوها صروف الايام · بل هي ثابتة على الدوام ثبوت اللحم والدم فيهم وفي اولادهم الى ما شاء الله · اما من جهة هذه الامة الكريمة فمن قبيل المروءه والشهامة وشرف النفس ومكارم الاخلاق مما لا يسمح لها ان تهمل شعباً ضعيفاً لاذ بحماها · ورضيت هي ان تتخذه تحت ظل حمايتها فبذلت له رفدها وعونها على الدوام من كل

وجه ٠ حتى حافظت على كيانه وصار على نوع ما كانه ميراث لهـا عزيز لديها ٠ وقد عرفت لها هذه المزية عند الجميع ٠ واما من جهتنا فمن قبيل الواجب الشرعي ومعرفة الجميل الذي ولد فينا من كبيرنا الى صغيرنا هذا الميل الشديد وهـذه المحبة الراسخة والصلة الطبيعية بمصدر حياتنا المعنوية التي بلغت بنا الى هذا الحد من الثبات وعزة الجانب في كل اين وآن ٠

فهذه اذن هي دون غيرها الامة التي يجب ان ننظر اليها بعين الامل وننتظر منها مثل هذه العناية حتى تنولنا كل هـذه المرافق المطلوبة وتحافظ على كياننا وحريتنا وتسير بنا في سبيل الرقي الحقيقي المبتغى ٠ لانها هي وحدها التي رمقتنا حتى الآن بعين عنايتها في الشدة والرخاء وغذتنا بافاويق حضارتها البديعة وبذلت كل ما يمكن بذله في لبنان وخارجه لاجل مد حمايتها على كل لبناني لجأ اليها عند مسيس الحاجة ولنا على صحة ذلك شواهد راهنة من قديم وحديث تضرب عن ذكرها صفحًا لشهرتها ولان ليس لها من محل في هذه العجالة

فمن الواجب اذاً على كل لبناني يهمه أمر وطنه وسعادته في كل حال ان يتوخى هذا الامر المهم من فرنسا الام المحبوبة ويستسلم لها بكليته وينظر اليها نظر من ليس له أمل بسواها ٠ وهي اذ ذاك تسعى سعيها الموفق لاجل تنويل وطنه مثل هـذه المرافق الضرورية لحياته الحسنة من الاوجه الراهنة التي تبلغ بهـا وبه الى هذه الغاية الحميدة بلا محالة .

فهذا كان راينا على الدوام في هـذا الموضوع ٠ وقد جاوبنا كل

الذين سألونا عنه في كل مكان وزمان مشافهة او كتابة بهذا المعنى نفسه : ولم تنفك ولن تنفك عنه مدى الدهر لاننا نراه اوفق لخير الوطن ومصلحته الحقيقية الدائمة من كل وجه . وقد بثثنا به ايضاً لذوي الشأن ممن استعدنا الحظ بالوصول اليهم من رجال فرنسا الكرام منذ اول الامر . فتلقوه بكل ارتياح قبل ان توضع هذه المسئلة على بساط البحث ووعدونا خيراً في امر تحقيقه دون سواه عند الاقتضاء

***

ولقد تضاربت بعد ذلك الاراء وكثر التفرق والشغب بين الجالية السورية في كل انحاء المهجر . فاتفق السوريون واللبنانيون معاً في بعض المحال على خطة سوية عمومية توفق بين مطالب الفريقين . واختلفوا في محال اخرى وكان كل فريق منهم يرمي الى غرض متباين في الظاهر متلائم في المعنى . فكانت خطة الاولين اقرب الى الصواب لانها جمعت الكلمة ووحدت المسعى الى الغاية المقصودة بحيث ينال كل فريق في آخر الامر ما يلائم قومه بحسب ظروفهم واحوالهم الخاصة . ولكن تحت حماية فرنسا ورعايتها (١)

---

(١) بعد كتابة هذه السطور وقفنا في العدد ٩٤ من جريدة «المستقبل» الغراء التي تصدر في باريس وهو بتاريخ ١٠ فبراير من هذه السنة على «بيان المسيو شكري غانم» صديقنا الشهير الغيور جداً على وطنه ومقامه في عالم الادب والسياسة اشهر من ان يعرف . وفيه بعد مقدمة بديعة له بهذا المعنى «نظام الجمعية السورية المركزية» التي كان من هم موسسيها في عاصمة الافرنسيين وهو الآن رئيسها المفضال :

وانفرد نفر قليل من اللبنانيين برأي مبتسر وخطة مختلفة بعض الاختلاف من حيث طلب الاستقلال المطلق تحت ضمانة جميع الدول الكبرى بالاشتراك فلا يكون لدولة منها من حق ممتاز عليهم دون الاخرى . وقد اسمع هؤلاء ايضاً صوتهم بما رفعوه من التقارير والمذكرات بهذا المعنى الى الحلفاء والمحايدين . وهم يدَّعون اعتباطاً انهم انما يطالبون بذلك بلسان كل اللبنانيين قاطبة في كل انحاء المعسور . مع ان واقع الحال يكذب دعواهم هذه . وتحت يدنا الآن شواهد جمة راهنة ممن يعارضهم في رايهم هذا نقتصر منها على ايراد خطة الجمعيات دون الافراد المهمين الذين شافهونا وكاتبونا مراراً بهذا المعنى نفسه وهم كثيرو العدد من كل مقام وطبقة حذراً من الاطالة المملة

فمن كتاب ورد الينا من رئيس جمعية « النهضة اللبنانية » في الولايات المتحدة بتاريخ ٢٣ آب سنة ١٩١٧ قوله بعد كلام طويل بالحرف الواحد « فيا سيدي انني كتبت الى المنسينيور فارس في باريس* والى المطران نعمة الله ابي كرم في رومية والى نجيب مكرزل في باريس وكتبت ابرقت الى المسيو « ريبو » باسم النهضة اللبنانيـة التي لي الشرف بان اكون رئيسها الدائم واعضاؤها سبعة آلاف في الولايات المتحدة وخمسة وعشرون الفاً في العالم الجديد — كنت ابرقت اليه يوم عقد مؤتمر الحلفاء ابسط مطالب اللبنانيين وانهم يطلبون « الاستقلال التام تحت رعاية فرنسا — وانا الآن كاتب اليكم بقلم غمسته في سويداء القلب لاتوسل اليكم ان

---

* فوجدنا بكل سرور خطتها المثلى من هذا القبيل . وهي ذات قول وعمل وفقها الله الى كل خير

تسعوا في مصر وفي باريس وفي رومية لانالة لبنان — استقلاله التام تحت رعاية فرنسا — »

ذلك فضلاً عما جاء في كتاب سابق ورد لنا منه بتاريخ ١٩ تموز من السنة نفسها به يقول ما حكايته الحرفية « قرأت كتابكم الاخير لمن ادعوه الجذوة وهو الاب فرنسيس واكيم ٠٠٠ ولما كان الخلفاء كلهم على مبدأ تحرير العناصر والشعوب الصغيرة — واللبنانيون منهـا — وجب علينا الاتحاد على الاستقلال دون سواه تحت « رعاية فرنسا » فنكون تحررنا وخدمنا الدولة المحسنة الينا النصيرة » اه

ثم من كتاب آخر ورد الينا من صاحب جريده الشعب في نيويورك (وهي لسان حال جمعية سورية لبنانية هناك) بتاريخ ١٣ تشرين الاول سنة ١٩١٧ ما مؤداه حرفياً « اطلعني سيـادة المفضال الخور اسقف خيرالله اسطفان على كتاب سيادتكم الجامع الشامل بشأن مستقبل اللبنانيين عموماً ٠٠٠ فوقع مني موقع الارتياح لانه ينطبق كل الانطباق على خطة جريدة الشعب ٠ وقد عقدت فصولاً كثيرة في هذا الموضوع اثبت فيها ٠٠٠ ان لا سبيل لنجاتنا من مظالم الترك وتحريرنا من نيرهم الثقيل بغير مساعدة فرنسا المحبوبة التي حمتنا في الماضي وهي اليـوم عازمة على انقاذنا وحمايتنا بالرغم عن نهوضها بأثقل اعباء الحرب الاوربية ٠٠٠ ومن غريب الاتفاق ان كل ما ذكرتموه سيادتكم في كتابكم ذكرته في كتاباتي واشرت الى المنافع التي نحصل عليها من حصولنا على الاستقلال النوعي الواسع « تحت حماية فرنسا المحبـوبة » ٠٠٠ وافهمت اخواني انه يجب عليهم ان يكونوا واثقين بفرنسا وغير معولين على المضللين المتاجرين بهم المسودين صحيفتهم في عينها ٠ اه

ثم من كتاب آخر ورد الينا ايضاً بتاريخ ٢ كانون الثاني اول السنة الجارية من جمعية « النهضة اللبنانية » بسان باولو في البرازيل ما يلي حرفياً بعد المقدمة « تعرفون ان غاية هذه الجمعية كما تعلمون استقلال لبنان ضمن حدوده الاصلية تحت حماية فرنسا — وهذه الغاية يقتضي ادراكها توحيد كلمة اللبنانيين بتوحيد كلمة جمعياتهم العديدة وتوسيع مساعيها واعمالها المشتتة . . ولاجل توحيد الكلمة والمساعي والاعمال وادراك هذه الغاية . . . رأينا انه من الضروري عقد مؤتمر لبناني تشترك فيه كل نواب جمعياتنا لنضع خطة للعمل المشترك

فهذه نتف مما ورد الينا من سائر الجهات وكلها ترمي الى غاية واحدة تخالف في جوهرها رأي هذا الفريق الشاذ . فاين ذلك من دعواه بان كل اللبنانيين انما هم على رأيه وانه انما يتكلم بلسانهم او بالنيابة عنهم ؟

ومع هذا لم يبق مجال للجدال وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب . نريد بذلك ما تقرر مبدئياً ونهائياً في امر مصير سورية ولبنان بعد تحريرهما من النير التركي الثقيل بين الدولتين المتفقتين اتفاقاً حبياً وثيقاً المتحالفتين على الخير رحمة بالانسانية المظلومة : نريد بهما فرنسا الشريفة وبريطانيا العظمى الماشيتين بكل فخر كتفاً الى كتف في هذه الحرب الشعواء حرب تحرير الامم من ربقات الاستبداد والاستعباد المذموم . وقد صرح به واذيع على رؤوس الملأ حتى لم يدع مجالاً للقال والقيل في الحفلة التاريخية العظيمة الشأن التي عقدت في ردهة اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية في باريس البديعة عند الساعة السادسة من مساء الاحد الواقع في ٢٣ دسمبر (كانون الاول)

ختام السنة المنصرمة . على ما جاء باستفاضة في العدد ٩١ من جريدة « المستقبل » الغراء الذي صدر في ١٠ يناير (كانون الثاني) من هذه السنة الجارية . وذهب صداه بين سمع الارض وبصرها

ونحن نأتي هنا على سبيل الذكرى بفقرات من ذلك التصريح العظيم الشأن الذي افصح به مما يلامس موضوعنا لاجل صحة البرهان والاستنتاج المنطقي الرائع

فقد قال السر مارك سايكس مندوب الحكومة الانكليزية الى الحكومة الفرنساوية . المفوض بانجاز المهام السياسية المتعلقة بالمسئلة السورية في خطابه الذي القاه في هذه الحفلة الرسمية مصرحاً تصريحاً ليس بعده من ريب لمستريب ما حكايته

« اولاً — ان بريطانيا العظمى وفرنسا متفقتان تمام الاتفاق في سياستهما بما يتعلق بالبلدان غير التركية في السلطنة العثمانية

« ثانياً — لا خلاف بين الدولتين ولا تناقض .. »

ثم استتلى قائلاً

« فالبند الاول والثاني « وهما المذكوران آنفاً » يضعان حداً للاعتقاد الشائع بين الاحزاب التي تميل الى انكلترا وبين الاحزاب التي تميل الى فرنسا » .

الى ان قال

« وحالة الامور الحاضرة تنطبق في الجملة على الرغائب السورية التي تعود في مجموعها — ولست اتردد في هذا القول — الى حكم يقدر الشعب معه على استثمار البلاد بسلام فتكون له مدنية خاصة به ولا يكون مع ذلك عرضة للظالمين في حالتيه السياسية والاقتصادية

الى ان قال

« ولنفرض ان الحلفاء خلصوا سوريه ولم يكن الشعب على وفاق — واعني بذلك قواد الشعب المفكرين — فماذا يكون حينئذٍ ؟ سينبسط عليكم اذا لم تتحدوا ظل حكم تجبرون على قبوله . ومثل هــذا الحكم ليس له طول امد حكم غير مرغوب فيه ولا استقرار له واني ارى سوريه حينئذٍ سائرة في سبيل الحياة وعليها حكومه لا تصلح لها يتناولها الاضطراب الداخلي والفتن »

الى ان قال وقوله هذا فصل الخطاب

ثم يجب ان تنتظروا من فرنسا ان تأتيكم بالمساعــدة التي لا غنى للشعب المظلوم عنها . وهو في حاجه اليها كي يقدر على السير بنفسه في طريق الحياه . وينبغي ان تطلبوا ضمانات من الدول المتمدنه في العالم لئــلا تخضعوا مرة اخرى لحكم الاتراك الذي صار بكم الى الفقر والى الشقاق » اه

ا فليس في هذه التصريحات الرسميه جل مطلب السوريين واللبنانيين من حيث استقلال لبنان التــام تحت رعايه فرنسا ؟ ثم اليس فيــه من التحريض على الالفة والاتفاق بين العناصر السوريه ما لم يدر محــلاً للتباين والتشاكس التنافر ؟ بل اليس فيه ما يدعو الى التضــافر والتكاتف وتوحيد والعمل توصلاً الى الغاية الحميــده التي تقصدها هاتان الدولتان العظيمتان فينا لنرقى في مراقي الحضاره ونبلغ شأو الامم المتمدنه بعد ان نتخلص من الظلم والضغط والاستبداد وننبذ اسباب الشقاق المذموم ونوثق اواخي التآخي المجرد عن كل عامل من عوامل التعصب المشئوم ونتفق على مبادئ الديموقراطيــة الحقه ؟ ان ذلك كله

يستدعي لنا مهذبين ماهرين يشذبون من اخلاقنا كل فرع بمضر مما يؤثر على نمونا الادبي ويقلل من ازهارنا الجميلة وثمارنا الطيبة حتى نصير اهلاً للقيام بذاتنا . اما اذا تركنا وشأننا ونحن على هذه الحال فلا سبيل الى الفلاح . وبدلاً من ان نترقى في بستان الحضارة فاننا نرجع القهقرى حتى نصل الى آخر دركات الجهل والهمجيه كما لا يغرب عن ذي بصيرة .

فلا نخدعنّ انفسنا . ولنتق الله في الحكم على حالتنا . ولنكن مخلصين نحو قومنا ووطننا المحبوب ونحو بنينا واحفادنا الى ما شاء الله . ولنقبل الدواء الشافي بكل طيبة خاطر اذا اردنا ان نستفيد من هذه الظروف الحسنة الفائدة المطلوبة ونبلغ الى الحياة الطيبة التي لا يعتورها من اعتلال . اما اذا لم تنجح فينا هذه النصائح وبقينا على ما نحن عليه من الدعوى والخلاف فانه سينبسط علينا (كما قال السر مارك سايكس) ظل حكم نكره على قبوله ولا ندري متى يصح لنا ان نستبدله بسواه مما يوافق امانينا

اجل ان السر مارك سايكس لم يأتِ على حدة على ذكر استقلال لبنان وتوسيع حدوده كما هو غرض كل لبناني في المعمور . ولكنه بتصريحه هذا عن ترك دولته العظمى امر تدبير سورية بجملتها الى دولة فرنسا المحبوبة قد قال كل شيء من هذا القبيل تضميناً . لان المقام لم يكن ليسمح له بالتفصيل . وقد ترك ذلك الى حكمة فرنسا وارادتها دون ان يقترح عليها اقل اقتراح مما يلامس طريقة التصرف والتدبير . وهذا ما يقضي به الذوق السليم كما يرى المتأمل

وليس من منكر ان لبنان انما هو جزء من سورية ممتاز من قديم

الدهر باستقلاله النوعي عنها . ففي تركه امر تدبير سورية الى فرنسا وحدها قد ترك لها الحرية ايضاً في امر تدبير لبنان على ما تراه اوفق واصلح لاهله ورقيهم المبتغى . ونحن نعلم حق العلم عن ثقة تامة ان لفرنسا الكريمة عطفاً خاصاً واهتماماً ممتازاً ونية صالحة جداً في امر لبنان واللبنانيين . وان في عزمها الاكيد ان تعمل بكل ما اوتيت من الحق والقوة لاجل المحافظة على امتيازات لبنان واستقلاله بعد توسيع منطقة حدوده على ما يضمن له الحرية التامة والسعادة الدائمه في مستقبل الحين بما هو اوسع وارسخ مما نتصور ونتمنى : وقد صرّح لنا ولغيرنا مراراً بذلك حضرة المسيو جورج بيكو المعتمد الفرنساوي الاعلى الذي عهد اليه مذ الآن تدبير هذه الامور المهمه في حينها بحيث لم يبقَ من مجال للريب

ومما يجب الانتباه اليه انه اذا لم تتولّ امر تدبير سوريه ولبنان دولة كبرى كالدولة الفرنساوية الشريفة وتدبر شؤونهما بما اوتيت من الحق والحكمة والعطف القديم العهود عليهما فمن ذا الذي يبلغ باللبنانيين خاصة الى ما يتمنونه ويتوقون اليه ويتطلبونه من هذا القبيل ؟ واي امل لهم بتحقيق آمالهم والحصول على امانيهم هذه الشريفة وهم بذاتهم غير قادرين على اقل شيء من ذلك ؟ ومن يا ترى يذود عن حقوقهم وامتيازاتهم وحدودهم واستقلالهم المطلوب في مستقبل الحين ويسد حاجتهم القصوى الى كل اسباب الرقي والحضارة من ماليه وفنيه حتى يتمتعوا بهذا الاستقلال المنشود على هذا الوجه المقصود ؟

ان فرنسا التي اشتهرت من قديم الدهر بحب الانسانيه . وسنّت للعالم شريعة الحريه والمساواة . وبذلت مجاناً كل مجهودها في سبيل رقي الامم على ما هو معروف عند كل احد . واختصت اللبنانيين بعطفها

وحمايتها طول الامد . وحافظت على صلاتها وتقاليدها التاريخية الراسخة نحوهم في كل الآونة بعزم لا يني وحمية لا تكل ولا تمل . كما تثبت تواريخها وتواريخنا الراهنة لهي احق واولى بثقتنا وتعليق كل آمالنا عليهــا . وان ننتظر منها دون سواها تحقيق مثل هذه الاماني وان نلقي انفسنــا بين ايديها كأم رؤوم تعطف على بنيها عطفاً طبيعياً بكل حنان وتتوخى سعادتهم الحقيقية من حيث لا يدرون وتعنى حق العناية بتنويلهم اياها من وجوه لا يدركونها ولا يحلمون بها

ولنرجع الان الى ما كنا بصدده

ومن بعد خطبة السر مارك سايكس المشار اليه نهض حضرة المسيو « جان غو » الناظر المفوض اليه تمثيل الحكومة الفرنساوية في هــذه الحفلة عينها وقال ما مؤداه بكل دقة

« انه ليسرني ان اؤكد لكم — برخصة من وزير خارجية الجمهورية — بعد النصائح التي سمعتموها من فم السر مارك سايكس ممثــل الامة الحليفة — ان فرنسا وانكلترة متفقتان تمام الاتفاق على تحرير الشعوب غير التركية من النير التركي في آسيا الصغرى . مهما كانت اديان هذه الشعوب واجناسها . وعلى تهيئتها لمستقبل احسن من ماضيها »

« وقد صممت الدولتان الحليفتان العزم — بعــد طرح كل فكرة ترمي الى السيطرة الاستعمارية — على هداية الشعوب التي تتكلم العربية وغيرها من اللغات والساكنة في الربوع التي تمتد من الجبال الاناضولية الى بحر الهند . وعلى السير بها في طريق الاستقلال بالحكم وفي سبيل الحضارة — مع احترام العقائد الدينية وحقوق الوطنيات »

وستعمل كل من الدولتين في منطقة نفوذها . وسيكون الدور الذي

ستمثله فرنسا وانكلترا دور الدليل لتحسين المستقبل ودور الحكم بين الجماعات الدينية والجنسية . والاولى (اي فرنسا) مستعدة للقيام بهذا الدور في الشمال . والثانية في الجنوب »

(اننا نرغب في ان يحيط مواطنوكم كلهم علماً بهذا الاتفاق الولائي المعقود بين الدولتين الحرتين الكبيرتين حتى يقدروه حق قدره ولا سبيل الى تحقيق مستقبل مجيد . وقد اهلتكم اليه عذاباتكم الماضية وثقتكم بمصائر وطنكم — الا بالاتفاق ونبذ الشقاق الناتج عن حكم الاتراك) اه

فمن هذه التصريحات الرسمية يرى كل لبيب ان قد قضي الامر بحيث لم يبق من مجال للتباين والجدال والتحزب والاختلاف . فان الذين سيحررونه من نير الاتراك بقواتهم ومجهوداتهم وعنايتهم الفعلية قد اتفقوا تمام الاتفاق مذ الان على منطقة نفوذ كل فريق منهم وعلى الخطة التي يتبعونها ويدأبون على وضعها موضع العمل . فاصاب فرنسا من ذلك منطقة سورية ولبنان . وهي قد صرحت تصريحاً ليس بعده من ريب انها (قد طرحت كل فكرة ترمي الى السيطرة الاستعمارية) وانها (ستسير باهل هذه البلاد في طريق الاستقلال وسبيل الحضارة مع احترام العقائد الدينية وحقوق الوطنيات) وانها (ستمثل (في هذا الامر عندهم دور الدليل لتحسين المستقبل ودور الحكم بين الجماعات الدينية والجنسية) .

فيظهر باقل تبصر لكل لبيب منزه عن الهوى من هذه التصريحات وخاصة (من قوله) احترام العقائد الدينية وحقوق الوطنيات . ان لبنان يكون الوطن العزيز على اهله الغالبية ومعظمهم من النصارى — لا يمكن الا ان يكون ممتازاً عن سواه . وله دستور خاص به مستقل عن غيره على اقصى ما

يكون من السعة بالنسبة الى احوال اهله واستعدادهم بحيث يمكنه ان يسير بهم سيراً حثيثاً في طريق الاستقلال في الحكم وفي سبيل الحضارة على ما هو مفهوم ومقصود من هذه الفقرة عينها من هذا الخطاب النفيس .

وهذا عين ما صرّح به لنا ولسؤالنا مواراً حضرة المعتمد الفرنساوي الاعلى المشار اليه آنفاً بتوكيد لا يحتمل التأويل .

ويؤيد ذلك ما صرّح به حضرة المسيو ستيفن بيشون وزير خارجية فرنسا بعد هذه الحفلة باربعة ايام في مجلس النواب . على ما جاء في الجريدة الرسمية التي صدرت في ٢٧ دسمبر سنة ١٩١٧ . فقد قال اعزه الله

« ان في هذه السياسة التي تقضي باعتبار حقوق الوطنيات لشرفنا ولتقاليدنا وتاريخنا . وهي تنطبق في اعتقادنا على الشعوب الارمنية والسورية واللبنانية كما تعم كل الشعوب التي لها حق بعطفنا ومساعدتنا . ويجب جعلها مع الامكان في حالة تقدر معها ان تدبر مصيرها بنفسها »

« ولا يجهل احد حقوق فرنسا التاريخية ولا الدور الذي لعبته في تحرير سوريه التي من شأنها ان تدركها المسرة اكثر من كل بلاد اخرى . لانها من هذه المسئلة في موقف خاص تؤيده المعاهدات التي لا سر فيها وهي تخول لها حق انهاض شعب علق آماله عليها وارتبط باعظم تقاليدها مجداً في الماضي » اهـ

فليتبحر كل لبناني وليتدبر بعين البصيرة مجرداً عن الهوى ايري في طياته ما يغذي آماله ويحقق امانيه من كل وجه . وليدعو للحلفاء بالنصر المبين العاجل من صميم القلب حتى تضح هذه المواعيد بحذافيرها

***

وها قد تقرر اذن مبدئياً ونهائياً تحرير سوريه ولبنـان من كل سيطرة واستبداد . ومنحهما الاستقلال التام الذي يسير بكل منهما الى السعادة الراهنة والحضارة الراقيه والسلام الدائم تحت رعايـة الدولة الفرنساوية المحبوبة مبدعة الديموقراطية والحرية الذاتية في العالم المتمدن. نصرها الله على اعدائها وبلغها اقصى مناها من الحياة بالعز والفخر والصولة والاقتدار مدى الادهار

وهنا يجدر بنا ان نختم هذه العجـالة بالكلام العسجدي البـديع الذي وجهه حضرة المسيو فرنكلان بويون . وزير البعثات الى الخـارج سابقاً ورئيس لجنة الامور الخارجية في مجلس النواب الافرنسي ورئيس اللجنة البرلمانية المهتمة بالشؤون الخارجيه الذي لا يجهل احد مقامه في عالم السياسة . من الخطاب الذي فاه به في هذه الحفلة عينها ملتفتاً الى السوريين الحاضرين فيها . فقال لهم من قلب كله اخلاص وغيرة على مصالحهم

« كنتم على خلاف فيما مضى ايها الساده . وربما انتم الان على خلاف ايضاً . الا فاعلموا ان لا قدرة لكم على شيء الا اذا صنعتم كما صنعنا . اي اذا اتفقتم . . . . لا سبيل لنا الان الى اضاعة الوقت في التشاكس والتباغض . ان ذلك لجريمة من افظع الجرائم تجاه الوطن . وراءكم موتاكم وشهداؤكم واماكم من يثقون بكم وينتظرونكم . انا اعلم الناس بحبكم لذويكم . فاتحدوا لتحرير سوريه من نير الاتراك الشنيع . » اه

***

ومن بعد هذا وذاك قد انقضى دور حب الوطن بالكلام الذي أعطي السوريون واللبنانيون شطراً كبيراً من مواهبه وقد وفوا الموضوع حتى

الآن حقه · وحان ان يبتدئ دور العمل لانه (كما قال الشاعر الحكيم)

« لا يصدق القول حتى يصدق العمل »

وما احسن ما قاله حضره المسيو « بول كاودل » سفير الدولة الافرنسية في البرازيل · في إحدى خطبه الموجهة الى السوريين واللبنانيين في الحفلات الشائقة التي اقاموها في ريودي جانيرو وسان باولو احتفاء بوفد الجمعية السوريه المركزية في باريس الذي بعثت به الى العالم الجديد لاجل السعي في توحيد الكلمة وتنشيط حركة التطوع في الفرقة الشرقية الفرنساوية بين الجالية السورية واللبنانيه فقد قال اعزه الله بعد ماصرح بحسن نيات فرنسا في امر تحرير وطنهم ومصيره واستقلاله على ما هو مطلوب الجميع (كما روت جريده « الفتاه » الغراء التى تصدر هناك في عدد ١٣ اكتوبر سنة ١٩١٧)

« غير ان هناك امراً لا بد منه وهو لا يخفى عليكم · وما هذا الامر الا اقامتكم الدليل الصريح على رغبتكم في جعل بلادكم مستقلة بحيث لا يبقى السعي الى تحقيق امنيتكم موكولاً الى الامة التي تستنجدون بها وحدها والى فئة قليلة العدد بينكم »

« انه لا يجدر بكم الوقوف موقف الامل دون العمل · والعمل يقضي بالتضحية من كل وجه · والامر لا يتقاضاكم فوق ما تستطيعون · ولكنه يتقاضاكم ما يجب على كل امة تريد الاستقلال · فان بينكم شباناً قادرين على القتال واغنياء يسعهم بذل المال فلا تكونوا بما اوتيتم من الشباب والمال باخلين »

« ان فرنسا ترغب في انقاذكم من يد الاتراك ظالميكم · وفي انالتكم الاستقلال · فكونوا لها في السعي عوناً اذا كنتم في استقلال

بلادكم راغبين . . كونوا متفقين متضامنين في العمل على تصيير بلادكم مستقلة تلقوا من الامة الفرنساوية عون الصديق المنزه عن كل مطمع » اه

وهذا خير ما نختم به هذه العجالة الى السوريين عامةً واللبنانيين خاصةً . . والله الموفق الى كل خير وصواب والهادي الى حسن الختام بمنه وكرمه

وكتبها عن مصر في ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٨

الفقير اليه تعالى

المطران

يوسف دريان

Imp. J. Sader Beyrouth, Syrie 1919

